سميراميس

تراجيديا أسورية في أربعة فصول

لشاعر الشباب

مدحت رامي

عن الشاعر الفرنسي جوزفان بلادان

تمثلها فرقة فاطمة رشدي

تطلب من ابراهيم يوسف صاحب مكتبة الأهرام بشارع محمد علي

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بالقاهرة
ادارة محمد عبد اللطيف حجازي

سميراميس

تراجيديا أسورية في أربعة فصول

لشاعر الشباب

مدحت رامي

عن الشاعر الفرنسي جوزفان بلادان

تمثلها فرقة فاطمة رشدي

تطلب من ابراهيم يوسف صاحب مكتبة الأهرام بشارع محمد علي

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بالقاهرة
ادارة عبد اللطيف حجازي

أبطال الرواية

سميراميس ... ... ملكة أشور

كيتاهور ... ... فرعون مصر

أوركام .. .. عراف بابل

ذاكر ... ... فارس أشور

نارمسين . ... الحبر الاعظم

يمثل المنظر حديقة معلقة فى نينوه . درجات تمتد من مقدم المسرح صاعدة الى مؤخره يتخللها مصطبة يفضى اليها بابان باب المعبد على يسار المشاهد وباب القصر على يمينه فى أعلى الدرج مصطبة ثانية :

الصلاة للنجوم

عند رفع الستار يجتمع الفلمان حول المنشد . يتوافد الكهنة على المصطبة الاولى . فى وسطهم يقف نارمسين .

المنشد : هبط الليل المقدس . وبدت زهر النجوم فى سماء صافيه . والقمر يتهادى مستديراً شاحبا . هيا نحيّ وجهه بالأغاريد العذاب . النجوم أعين تفحص أرواح العباد ، تريد تصريف القدر . فمنهم شقى ومنهم سعيد .

أيتها الاضواء البهيه . يانظرات العالم المجهول . أيتها الشهود على وجود الخالق . أنتم سبيل الغيب . أنتم بواعث الايمان . كل نجم منكم حرف ذهبي فى صفحة السر العظيم .

المرددون : التحيات للكواكب . والمجد ، للنجوم بلا عدّ .

المنشد : ياروح سين ! ياروح الاحلام . ياهدى المسافرين . يانور أهل اليقين . ياسراج الحب . ياواهب الراحة والأمل . أطفئ بنورك حمّانا وهدئ سورة البال ،

أى نجم الفكر والسكون ؟

المرددون : إيه ياروح السماء . ادفعى عنا البلاء .

المنشد : ياروح سلماس ! ياروح سماس الغبطة والأمان . ياروح الخصب والثراء . ياباعث الحياة فى حقول البر . ياعلم المجد وعنوان الفخار . أبد الفتن . فرق الاشباح . اعقل لسان الكاذبين . ذهّب حواشى الحقول . أى ملك الذهب وأمير الفنون .

المرددون : إيه ياروح السماء . امنحى الزرع النماء .

المنشد : ياروح أدّر ! ياخفىّ الأرواح . ياخالق العمل الجليل . ياواهب الكد الطويل . ياباعث الصبر والثبات ابعث فينا الجد . أنر لنا سبيل الحريه . اكشف لنا سر الحياة . بين لنا قدر الزمن .

المرددون : إيه ياروح السماء . اجعلى الدنيا صفاء .

المنشد : ياروح مردك ! ياروح القوة والرحمة . يا واسع الكرم . ياسيد المعبد والقصر . يامولى الكهنة والملوك هىء لنا سبيل التمجيد لأهل الذكر .

المرددون : إيه ياروح السماء . حقق منا الرجاء .

المنشـد : ياروح إشتار ! ياروح الطيبة والسماح . ياأم الشفقة . يابسمة السماء . يانسمة الغاب والغدير . ارحمينا وانثرى العطف علينا ، أنت نبراس الحياه . وأنت رسول الغرام .

المرددون : إيه ياروح السماء . أسعدينا بالرضاء .

المنشـد : ياروح نرجال ! ياروح الاقـدام والنضـال . يامخترق الصفوف ممتشق الحسام . ياملك الغضب . ارفع مقتك عنا . أبد شياطين الشرور واجعل الدنيا سلاما .

المرددون : إيه ياروح السماء . ابعثى فينا المضاء .

المنشـد : ياروح نينو ! ياروح السحر . ياعالم الاسرار يامصرف القدر . اكشف لنا عن صفحات الغيوب . بين لنا سر الوجود .

المرددون : إيه ياروح السماء . اكشف سر القضاء .

المنشـد : التحيات للكواكب . والمجد للنجوم بلاعد .

يطلع النهار . يوزع نارمسين والكهنة سعف النخيل علي الغلمان فيؤلفون موكبا ثم يصعدون الدرج ومن خلفهم الكهنة . ينحدر نارمسين وحيدا الى مقدمة المسرح .

الفصل الأول

المشهد الأول

نارمسين : (وحيدا) يطلع الفجر على مجد الوطن . وينجلى عن خير ساعات الزمن . ساعة يصمت فيها الكون من هول الوجل ، أمام شمس أمة تشرق فى أوج علاها . عن قريب ، يدوى صراخ الفرح صاعداً من صدر آشور . سميراميس المليكة التى بزت الملوك تعود الى الوطن يغمرها بهاء المجد ! لقد أذلت وأنزلت على أداء الجزية أم الشعوب مصر ذات الوقار . والآن ، ونينوه تتوج قصورها أكاليل الزهر وتغطى دروبها الابسطة ، والجو ملآن من أغانى المرح ، أقف شارد اللب أقرأ فى صفحة الغيب ، وما كلماتها إلا عوالم ، سطور الوعيد . سميراميس الدائمة التوفيق فى الفتح والسيف مصلت فى كفها ، ترى نجمها

يغيب عند ما تخلع درع القتال . هذه نبوءة غامضة لا تصل إلى فهمها تجاريب سني . لابد لي أن أستشير مجوس كلدة . سيحضر أوركام عراف بابل . وهذه الحديقة خير ما يليق لتبادل الاسرار .

المشهد الثانى

نارمسين يرى أوركام نازلا الدرج

نارمسين : إذا لم يكذب الخبر الخبر ، فهذا الشيخ فى برد الشباب هو الذى انتظر .

أوركام : (وقد وصل اليه) أوركام عراف بابل يتمنى لنارمسين حبر نينوه الاعظم المجد والرفعه .

نارمسين : نارمسين حبر نينوه يتمنى لأوركام عراف بابل المجد والرفعة .

أوركام : أوفدتنى الهيئة المقدسة أتعرّف رأيك . نحن أهل الروح نأبى أن تمد الأيدى إلى فعل الأذى . لعلك لم تنس ذلك لما طلبت المعونة ؟

نارمسين : هذه الكبرياء لاتبرح أهل الفكر العقيم .

أوركام : لست إلا كاهنا . أما أنا فعراف . اسمك الواقع . أما أنا فأدعى الفكر . أنت تخدم أمتك مغمض العينين . أما أنا فأعكس النور الذى لم ينتشر . ووطنى

هو الأبد .

نارمسين : لابد من الدبّ إلى قلب منيع الجانب لاغنى عن كشف سره .

أوركام : أنا أسمى من أن أؤدى المهمه .

نارمسين : ألا أقلّ من تفسير ذلك الطالع ؟

أوركام : عهد ملك وخلود لكن هناك خطرا داهما يكمن فى لب الارادة ، بل فى صميم النفس .

نارمسين : إذا كانت سلامة بابل عالقة بتلك النفس فهل تخشى ؟

أوركام : نعم أخشى .

نارمسين : هذا الطالع طالع نينوه !

أوركام : بل طالع سميراميس .

نارمسين : وكيف ؟ كيف تفصل الجسد عن الروح ، والصورة عن الفكرة ، وتقضى مابين حظ سميراميس ومستقبل أشور ؟ انها الحياة وانها السعود . وانها قوام أشور ومجد أشور . ذلك الجيش الجرار الذى جمعه نينوس

وخاض به غمار النصر أصبح طائفة من قلوب دينها الغرام هذه المائة ألف محارب مائة ألف عاشق للمرأة التي ينضوون تحت لوائها الخفاق . وانما تدفعهم الى الحرب تلك الشعلة في القلب .

أوركام : لقد أثرت اهتمامي . وقد قبلت الرساله .

نارمسين : أنفذ روحك الى نفس تلك المليكة . أتعرف الأسطورة ؟

أوركام : أعرفها . دركيتو معبودة أسكالون مالت الى كاهنها الأعظم . ثم غشيها الخجل فقتلت الكاهن وألقت الطفل الى عناية القدر ... أعرف أسطورة الحمائم .

نارمسين : الاسطورة صادقة . وما أكثر ماقصّها على سيماس . كل يوم كان الحمام يطيف بالبرج الرائب فيغمس فيه منقاره ثم يطير الى الصخرة التي وجد عندها الرعاة طفلا صارخا تضمه تحت أجنحتها حمائم إشتار . وسيماس الذي تبناها سماها الحمامة ! وبلغت الخامسة عشرة فاذا جمال

رائع دعا مينونيس حاكم سوريا إلى الاقتران بها . ولما حارب الفرس رغبت فى مصاحبته . وعند أسوار بكتريا صحت روح الفتوة فى الصبيه . وكان نينوس حاكم هذه المدينة قد فقد مائة فصيلة من جنده وكانت المدينة لاتزال منيعة لكن سميراميس وجدت سبيلا إلى تسلق الأسوار .

أوركام : ومنحت نفسها للقائد العدو !

نارمسين : لست أدرى ، ولكن المدينة اقتحمت ونينوس المقهور وضع تاجه على جبين اللقيطه .

أوركام : ومينونيس ؟

نارمسين : شنق نفسه .

أوركام : ونينوس ؟

نارمسين : مات بعده بقليل .

أوكارم : وهل مات ميتة طبيعيه ؟

نارمسين : موت الملوك تحيط به الاسرار . وللمرء أن يفرض مايشاء . فاما يد الجريمة وإما إصبع القدر . قبضت سميراميس على صولجان الملك فى عظمة وجلال فاختفت

المرأة وظهرت الفاتحة . أذلت افريقية وأخضعت معظم آسيا هادمة دولا ومشيدة ممالك . وهـذه هى الآن عائدة من مصر فاتحة ظافرة .

أوركام : بعد أن استخارت عرافة أمون .

نارمسين : أتدرى ماذا كان الجواب ؟

أوركام : كل المعابد تستخير وتستخار الا معابد نينوه لكثرة مااستبدت منازلوها فى القتال .

نارمسين : وهل تحقق الآية ظنى القلق ؟

أوركام : اسمع ماأملاه القدر : « إصبرى واقفة فى غابة الأرز . إنك ان جلست أو نمت تحت الظلال رأيت الغابة كلها تجتث من فوق الأرض وتجرى من الفزع كأنها سرب من الاغنام .

نارمسين . هذه نبوءة تهدد المرأة .

أوركام : لننزع عن هذه الملكة جلال الملك ولننظر فى قرارة النفس .

نارمسين . يعمى الاجلال بصرى .

أوركام : طفلة لقيطة يتبناها رجل من بطانة الملك ثم لاتخلص الود لمينونيس الذى انتشلها من الظلام و بعد ذلك تزاحم بل تقتل نينوس الذى منحها العرش .

نارمسين : لا .

أوركام : أتحسبها بريئة ؟

نارمسين : إن اسمها سميراميس ذات الجلال . (أبواق)

أوركام : يزعمون أنها تدفع إلى سريرها نبلاء جيشها الظافر .

نارمسين : كذب ونفاق ! إخلاصهم يكفى لإسعادهم فلا يحلمون بقبلة تلك المليكة . حتى كبيرهم ذاكر ، يكون مجنونا إذا فكر فى ذلك يوما من الايام وقانا الله شر اليوم الذى تصبح فيه حمامة الحروب حمامة الحب والهيام . ان شمس ذلك اليوم لن تطلع على جيشنا المنتصر إلا وقد فرقه الفساد ، وأودت به كارثات المذابح .

أوركام : (وقد رأى ذاكر) من القادم ؟

نارمسين : هذا ذاكر . ستعرف منه صدق ماتشعر به

جعافل نينوه .

المشهد الثالث

— نارمسين . أوركام . ذاكر —

ذاكر : (لنارمسين) سميراميس مليكتنا الجليلة قد اختارت سطح إشتار تعلق فيه سيف القتال . تريد أن تأتى وحيدة . أطلقوا لها البخور عند الاعتاب .

نارمسين : (لاوركام) كان من عادتها فى سابق العهد عند الرجوع من ميادين القتال أن تخص بدرعها معبد نرجال إله الحروب الداميه . (لذاكر) يسرنى بالرغم من عبء السنين أن أقدم البخور للمليكة الحبيبه (يخرج)

المشهد الرابع

— اوركام . ذاكر —

أوركام : أيها البطل . أحيي فى شخصك إلهة أشور . وأرانى بالرغم من قانسوتى أغبطك على قتالك وانتصارك فى بهاء نظرتها الساحره .

ذاكر : أيها العراف لك أن تغبطني . آلهتكم من الخشب والحجر ، لا يتحركون ولا ينطقون . أما هي فحية ، محبوبة معبودة . الريح البراق شعلة دينها المقدس . وشرعها الحرب وسر عبادتها الانتصار .

أوركام : يا للحماسة النبيله !

ذاكر : ان علينا مدحها بالكلم المقدسه . يجب أن يوضع اسمها في التراتيل بين الأسماء العليه . انما يعرفها الذي عاش في ظلها وجاب أقطار آسيا يطيل النظر إلى سيفها اللامع . يشعر الجيش بالتعب ويحس العطش ويرفض المسير فما هو الا أن تمر بين الصفوف حتى تبعث رؤيتها أضعف العزائم . وتلقى النظرة الثاقبة فتخمد صرخات التململ . فاذا نامت الجنود رأيتها تجوس خلال الخيام رفيقة الخطو تكاد تضيء الليل بنار أحداقها المشتعلة . فاذا شبت الحرب بدت ثابتة الجنان يلقى الأوامر صوتها القاطع . فاذا هبط الليل على القتال غدت تواسي الجرحى بحلو الابتسام . حتى اذا تم

النصر نعم الجندى واستراح وقد بذل غاية المجهود . وهذه سميراميس تحيل رجل الحرب الى رجل العمل . والفتح يستدعى البناء . يطلع النهار على النصر وأول همهاتشييدها أثرا من الآثار .

أوركام : أنت تحبها !

ذاكر : من أطلعك على كمين سرى ؟ لقد انتزعته منى ! وماانتفاعى بوجد يذيب قلبى اذا انطويت عليه ؟ سميراميس الشمس ذات الهالة المشرقة تضمر كل القلوب بنورها الروحانى وجهها المشرق شمس أشور .

أوركام : أرأيت اشراق الرضى من ذلك الوجه البديع ؟

ذاكر : رأيتها تبسم للأمير المصرى كيتاهور عازف القيثاره . ذلك الفرعون فى شكل امرأه . لقد عرض نفسه ضمانا للجزية التى فرضتها المليكة على بلاده . وهذه الذلة التى تتوج الفتح بجعل المقهور فى الركاب توسل الى نيلها كائنا يتوسل إلى نيل نعمه .

أوركام : أظنها حرة فى منح قلبها من تشاء .

ذاكر : لا وحق الآلهة : انها حبيبة الجحافل معشوقة الجنود . فاذا اصطفت واحدا خانت ألفاً ممن يستحقون الرضى . ويل لها ان نسيت ماتنضح به طيلسانها من زكى الدماء . ويل لها ان اجترأت فأثرت قلبا من كل تلك القلوب . ويل لها ان أحبت وويل لأشور من سوء النكال .

(أبواق)

المشهد الخامس

— ذاكر . أوركام . كيتاهور —

أوركام : (وقد رأى كيتاهور نازلا درج المصطبة الثانية) من مظهر هذه البطولة وسبوح هذا النظر ، من جلال هذا الإباء وغشية ذلك الحزن أتوسم الذى سوف تهوى .

ذاكر : (متحديا) ماذا جئت تصنع أيها المقهور !

كيتاهور : (هادئا) أطيع مثلك أمر المليكة المحبوبة . أراك نسيت فى ثورتك ماتعاهدنا عليه . ألم نقسم على أن

نكظم الغيظ وأن نطفىء نار الغضب ! لم هذا التحدى بالاهانة إن لم يكن فى قدرة السيف الكلام ؟ هذا مظهر الوحش الهائج لامظهر الرجل الودود . إن كنت أنت المفضل فليس لى من حيلة الاسكوتى وموتى ، وإن كانت لى الغلبة فمالك تؤذى الذى تعبده ؟ احترمها فى إرادتها وان عارضت رغبتك . أثور فى وجه السماء إذا رفضت منا قبول الصلاه !

ذاكر : هذه ألفاظ عابد . أنت تحلم حتى فى حومة القتال ! لقد رأيتك تدفع جيادك بين الصفوف كأنما تجرى إلى الصيد وسيفك فى القراب .

كيتاهور : كذبت . لقد كنت فى الطليعة وكنت أجبه الموت ولاأذيقه أحدا . فرعون يخرج للقتال فان لم تكف رؤيته لتشتيت الصفوف فذلك أن قد أغضى عنه أمون .

أوركام : (لكيتاهور) اتبع هذى العقيدة فى غرامك أيها الملك هذى نصيحة عراف حكيم . عد إلى النيل والا مت من هذا الغرام .

كيتاهور : أليس سبيل السعادة أن يعيش المرء مطيعا هواه أو يموت فيه حالما ؟ ليكن هلاكى فى غد اذا نعمت ساعة بالحب من تلك الحمامة .

ذاكر : ما أشد جرأته !

كيتاهور : سميراميس لها الحكم على رغبتى لا على روحى هى إيزيس الآلهة لكنها عندى إيزيس البشر . أنت ياذاكر يبهرك الصولجان . أما أنا فأمير منف لا أرى فيها سوى المرأة ذات الجمال الفريد . ما أجمل الرضى من تينك العينين يسبح فيهما سراب تلك المدائن المجتاحه ! ما أعذب الحنان من ذلك الصوت الرهيب ! ما أحلى القبلة من ذلك الثغر المنيع ! ما ألذ العناق من ذينك الساعدين المفتولين ! ما أمتع امتلاك ذلك الجسد الذى لم تمسه إلا كف النسيم ! ما أشد العبير من تلك الجدائل التى أجد فى ثناياها نسيم الصحارى البليل ! هذا هو النعيم الذى يبذل المرء فى سبيله حياته الغاليه . سميراميس معبودة تجمع العالم فى شكل امرأة . (طبول)

المشهد السادس

(عند سماع الطبول يظهر موكب النصر . كيتاهور وذاكر وأوركام يقفون إلى جانب المسرح . تظهر الغلمان وفى أيديهم سعف النخيل و يصطفون على المصطبة الأولى . الكهنة يظهرون من المعبد ثم يصعدون إلى المصطبة الثانية . بعد ذلك ينزل إلى حافة المسرح حاملو الأعلام وقواد الجيش والضباط . حملة الزهور ينزلون الدرج وهم ينثرون الزهر وأمامهم حملة القماقم يطلقون البخور . تظهر سميراميس على المصطبة الثانية فى لباس الحرب ثم تنزل وهى تتهادى إلى المصطبة الأولى)

سميراميس : أنتم يا ساعدىّ . أنتم يا يدىّ — أيتها الرماح القاطعه ، والسهام المارقه ، والسيوف البارقه . يارجال آشور ياشجعان نينوه ياشيوخ نينوس . ياشباب الأبطال فى ركابى . يا من تغلى فى عروقهم دماء النصر . ياأبطال الدجلة يارجالى ياجنودى ! (تقف كأنها مذهوب بها . أبواق قاطعة . الجمع يسل السيوف و يضرب بها الدروع و يردد سميراميس سميراميس) يارجال جيشى الظافر . أى الا كاليل

أعقد حول سيوفكم الباتره . أى مظاهر التكريم أقدم .
أيها المائة ألف وددت لو أستطيع أن أجمعكم فى رجل واحد
يكون نصيبه سميراميس ! أفىء الى ظله وأنعم بحلو وصله
وأنيله من هذا الجسد الذى يحمل أثر الحديد كل مايشتهيه
أواه هذه أضغاث أحلام ! لكن ليبصر كل منكم ذلك الحلم
وليملأ به شعاب قلبه . أضمكم جميعا بكل حرارة المرأة .
لن يكون لنينوس وارث على العرش . أنا حبيبة الجحافل
أنا معشوقة الجنود ! ياجنود آشور من صغير وكبير اسمعوا
أنا سميراميس أحبكم من كل دمى . أحبكم من كل روحى .
(أبواق وهتاف)

سميراميس : هاتوا راية الجيش تقبلها سميراميس
(يتقدم حامل العلم ثم يركع على ركبته ويحنى العلم ناحية الملكة)
ياأشياخ نينوس . يابناة دولتى . ياأبناء زوجى . اليكم أولا
شفتاى . . . (أبواق وهتاف) ياجحافل بكتريا أتذكرون
ماافتحمنا من بلاد منذ اقتحام البلد المنيع ؟ (أبواق وهتاف)
يارجال بابل . يامن أغريت ولم أذلّ يامن تنثرون أبنية المجد

بين الفرات والدجله (أبواق وهتاف) بكم يا جيوش ميديا شاهدت قلاع اكبتانا وجنات بجستان مانالته من المجد فى رخاء السلم وفزعة الحرب (هتاف) يارجال أرمينيا بأيديكم بنيت على ضفاف الفان مدينة شرفتها باسمى . (هتاف) ياجيش سيليسيا لقد قامت مدينة تارس الجميلة بفضل انتصاراتك ! (هتاف) وأنتم يارجال سوريا يامن تبعتمونى من شاطىء الفرات الى جبال طوروس مخترقين لبنان تنحتون الجبال وتحولون مجارى الانهار ! (هتاف) ياأجناد إيتيوبيا وياجحافل مصر يامن أنلتمونى النيل ! وأنت ياجيش الحامه ياحرسى ويا أمانى ! (هتاف) والآن . اذهبوا فامرحوا . ارفعوا الكؤوس واقتسموا الغنائم . اكشفوا عن ندوبكم . تغنوا بآيات مجدكم . أما أنا فذاهبة أصلى من أجلكم لله ! (هتاف)

سميراميس : (وقد أبصرت ذاكر) انصرف (مخاطبة كيتاهور بلهجه أرق) انصرف كذلك (يظل العراف فى مؤخرة المصطبة لا يتحرك)

المشهد السابع

— سميراميس . أوركام —

سميراميس : (ظانة نفسها وحيدة) نعم . ما أجمل النصر وما أجل الفتح وما أبهج الصولجان فى يد الظافر . آمال عذاب وأمانى كذاب تحققت جميعا وآسفاه . شعب بأكمله تأخذه النشوة عند الهتاف باسمى . كان واجبا على أن ابتهج لكنى هادئة لا أبالى . أنا الزهرة اليانعة ولدت كى أذوى فى ظل دافىء من ظلال القصر . ان لى جسد امرأة وقد كان لى بعلان ولكن قلبى الباسل لايخفق بما يتمناه جسدى . لقد أنالتنى الاعمال الجليلة منزلة الرجال العظام . ورثت ملك نينوس فجعلت الشعب ينساد وحكمت من بحيرات هينامان إلى بلاد الرياحين . من شواطىء سوريا إلى جبال السالك . لقد رأيت من البحار أربعة فى حين لم يبصر أحد من آشور بحراً واحدا . غيرت مجرى الانهار وعمرت الصحارى وجعلت قمم الجبال جنات وارفة

الظلال . وما خطوت خطوة إلا قامت ورائى الحصون المنيعه . وما كان للطبيعة أن تقف فى سبيلى . لقد دفعت جيادى تخترق زبد السيول وتسير على حافة الاودية حيث لا تجسر على السير الوحوش . والآن نصف العالم يدين لحكمى . مسلات نصرى تقوم تحت السماوات العديدة . وآثار مجدى تظهر فى أعمالى المجيدة . كل هذا المجد يدانى رتبة الآلهة . لكن هذا البهاء الشامل تغيم عليه سحابة سارية . نبوءة خاطئة خلقتها عقول كهان لئام . وما هى بذلك . أنا لا أقيم وزنا لتلك النصائح الجوفاء . ليس دينى دين آمون . إن هذا السيف دينى : أيها السيف الذى صحبنى من السنين عشراً وخمساً أهجر مكانك . لقد آن لك القرار . انى لأقفك على إلهة السلام . أيها السيف يانور الحقيقة يامبعث القوة . ياجامع القوانين يامو حد الشرائع ، يافريد الجلال : (تفكر ثم تعلق السيف فى قاعدة التمثال وتبصر أوركام) من يجسر على البقاء من بعد أمرى الكل بالانصراف ،

أوركام : أوركام عراف بابل

سميراميس : لقد دحرت بابل وأصبحت مجوسها عبيدى .

أوركام : دانت لسطوتك الرياح ولثم البحر أقدامك خاشعا ذليلا . أيتها المليكة الجليلة ، لك الملك وما من منازع لكنما الروح نسر الابد يحلق فوق سيفك .

سميراميس ، الساحر المجوسى يحييك من غير ذلة فى التحية .

سميراميس : السحر من آياته أن يعلم الحذر .

أوركام : لقد دعيت من كلدة أفسر طالعا .

سميراميس : وأى طالع يهزنى بعد طالع آمون .

أوركام : إنك لم تفهميه .

سميراميس : كذبت : بل أنت تجهله .

أوركام : (بلهجة من يعرف الاسرار) إصبرى واقفة فى غابة الارز . إنك ان جلست أونمت تحت الظلال رأيت الغابة تجتث من فوق الارض وتجرى من الفزع كانها قطيع الاغنام .

سميراميس : هيا كل مصر قد باحت بسرى ،

أوركام : السر لمن يقوى على كشفه .

سميراميس : إذن السر لى وحدى . أشجار الارز كناية عن فتوحى . عن البلاد المجتاحة والشعوب التى أذلت . حرام علىّ البقاء فى تلك الاراضى النائيه وهأنذا نزولا على الآية جئت هنا أعلق سيفى .

أوركام : أشجار الارز كناية عن جيوشك ، عن رهائنك عن ذلك القطيع الباسل الذى يدعوه الحب إلى ترسم خطاك . صولجانك ثابت متين . تحكمى . لاخوف عليك من حظك هلا كك من أنوثتك

سميراميس : أنا من سلالة الأبطال أنصاف الآلهة بناة الممالك . أنا من نسل السيوف البواتر . رفعتنى عبقريتى إلى حيث تولد الملوك . أنا لاأدين بشىء للقدر . مجدى بنيته بنفسى . أنوثتى إرادتى .

أوركام : القوس تهتز رعبا بعد انطلاق السهم . الآن تسرى فى عروقك حمى الفتوح فاذا أحاط بك الفراغ فى ليالى الأرق تحققت إنذارى . المالك فى فتوحه والكاهن

فى ذهوبه يردان مـدّ البحر . فاذا قرت النفس عاد نصف الاله انساناً عليل الجسد مضطرب الروح . كانت الحرب تبعث فى قلبك الدفء وكانت حياتك وقفا على المجد . أما وقد استتب السلم فاذا ترى تفعلين ؟

سميراميس : وهل كان مجدى قاصرا على اقتحام الحروب ان مآثرى توازى انتصاراتى . مثل مصر الجليلة لايبرح خاطرى . المعابد والقصور ، الترع والجسور ، الحـدائق والقلاع . كلها تشغل بالى .

أوركام . لا . إنما يطويك الحب فى كف قضائه .

سميراميس : أرأيت شتى السباع تتزاوج . ؟ لابد للباة من الأسـد ! أين الرجل الذى يليق بى ؟ أين نمرود ؟ هل يولد من جديد ؟ بين الاحياء من الملوك لاأرى سوى أتباع ! وذاكر ، هل أفضى اليك بحبه ؟

أوركام : ان تحبى سوى ندّ يشاطرك الغرام . كيتاهور !

سميراميس : هـذا الامير الذاهل الذى يذكرنى ولدى نيناس والذى لم يكن ليطأ شاطىء الدجلة لو لم يكن ضمانا

لجزية مصر ؟

أوركام : انما تجيب الملكة فى حين أحدث المرأه . أنت الآن فى السن التى تنزل أحزم النفوس على نقض العهود .

سميراميس : ماأغرب جرأتك ، اذهب .

أوركام : واذا حققت الحوادث صدق انذارى ؟

سميراميس : هناك وقد نزلت من سمائى أرتضى أن أراك لكن حتى تحين تلك الساعة لاترنى وجهك .

المشهد الثامن

سميراميس : (وحيده) لاأكاد أتنفس بعد عشر وخمس فى غمار حرب ضروس يتنازع ذكرها الاساطير والتاريخ وهناك من يجرأ وينذرأنى أحمل فى نفسى دمارى قاضية بيدى على أثرى الجليل ! وهل أمهر تاريخ كتابي بخاتمة وبيله ؟ أيسعدنى الحظ ثم أخونه ؟ إن هذا الالغو وهراء . لقد سرت حتى الآن فى غمرة الاكاليل أعد أيامى بشتى الفتوح . تكاد ذاكرتى تنكر أمكنة المواقع . أكاد أنسى أسماء بلاد

قضيت عليها بالدمار . أبعد هذى المآثر أهوى الى حب مهين . وأقضى بضربة واحدة على كل هذه الاعمال ؟ ان آمون ينتقم لمصر بتهديد مجدى . أأنا اذن امرأة تخضع للحواس ؟ لقد كنت فى أمسية القتال أجرس خلال الخيام فأسمع اسمى يخرج من صدور الجند أنفاسا متصعدة . حتى من الحب هذا الجيش يحمينى . أيتها النزعات الباطلة فى نفوس الخلق ، أيتها الاشباح والاحلام ، أيتها الاخطاء المردية اختفى ! ذوبى يا مظاهر الضعف والاستكانة . أريد أن أجمع بين الغار والزيتون . سأجعل من نينوه عجيبة العالم أسوة بأولئك الملوك الذين ينامون غرقى المجد فى سفح الهرم من الذى يدرك النصر من غير أثر الفتح ؟ من الذى يعرف أبهة الملك من غير تسجيل المآثر سأجمع أرباب القلم يخلدون ذكرى . سأجمع أشعة الفخار فأجعل منها هالة حول مجدى . وهناك تكذب الآية . سأظل واقفة فى غابة الارز واكون فيها دائما سميراميس ذات الجلال

الفصل الثانى

— سميراميس فى محفتها وفيها مرآة معلقة . حملة المحفة يبتعدون عن رفع الستار —

المشهد الاول

سميراميس : (ناهضة) أوآه . ما أطول الليل ! ما أثقل السكون ! ما أشد فتك الارق ! لاأستطيع أن أنام فوق الوسائد . قباب القصر تضيق أنفاسى . بالامس كانت صرخة الحارس ، صهيل الخيل ، قعقعة السيوف تخالط نفخة الابواق على وقع خفقات الصدور تهدهدنى فأنام فى ثنايا معطفى ورأسى على سرج الجواد . لقد كبرت وماشاهدت ذلك فى مرآة الانهار والغدران ولا فى أعين المدلهين من جنودى أخلع عنى الدرع فاذا ساعداى يشبهان الحديد . لقد كبرت نعم كبرت (تنظر فى المرآة) أيتها العذراء التى تيمت مينونيس على حافة النبع . أيتها الفارسة التى دلهت نينوس . كيف أعرفك الآن تحت هذه التجاليد الضامرة ؟ يغيم على مولدى سر رهيب دركيتو يامن بعثت فى الحياة . أمى لقد هجرتنى ولم أزل بعد

طفلا رضيعا . أى مينونيس لو كنت فقدتنى لما عشت بعدى يوما واحدا . أى نينوس لقد فضلت الموت عن أن تحرم يوما نعيم وصلى . أتمثل الآن ما كنت أبعثه فى نفوسكم من سحر الهوى وخمر الوصال . أى سحر عشقتموانى ! أذكر بعد موقعة الفان أن جنديا جريحا كان يجأر وأذكر أنى ملت عليه وأوقدت فى عينى تلك الشعلة التى بهرت نينوس فابتسم ذلك الوجه المقطب وأضاءت أساريره . ولما أشفى على الموت قربت شفتى من شفتيه فصعد آخر أنفاسه فى فمى . وهاجتنى تلك القبلة فسمعت رنينها يتردد فى جوانح صدرى وإذا صرخة فى الفضاء ورجل يهوى وإذا الدماء السخينة ترفض على جبينى وكانت دماء جريح شاهد مافعلت فذبح نفسه رجاء أن يحظى بأخت القبلة الاولى . أى سلطان لى على قلوب الرجال فى حين لا أجد لاحد منهم سلطانا على نفسى : أنا الفريدة بين هذا الشعب الذى يعيش فى بهاء نورى . أسفاه ! ماقال العراف الا الحق . إنى لأرى من خلال النخيل نذير السوء فى نبوءة أمون ! (تتهالك على الوسائد)

المشهد الثانى

— سميراميس ظانة نفسها وحيدة . أوركام على المصطبة الأولى —

أوركام : أيتها الملكة ، المراف هنا يسهر عليك مصغيا إلى همس الحيرة فى فؤادك . جئت أتم تدبيرا سياسيا وأبدد عن نارمسين أشباح الوجل فاذا بى تملكنى نزعة الاهتمام بنفسك وما أغلى العواطف من رجل حياته تفكير . ستظلين سميراميس ذات الجلال . هذا وعد أوركام ،

سميراميس : (ظانة نفسها وحيده) لم أظل واقفة فى غابة الارز ؟ ان ظلها لبارد وان أوراقها لسوداء . ماأشوقنى الى نعمة الجلوس والنوم ..... أسمع ناصحا يهتف فى أذنى يقول أيها التمثال اهبط من علاك . أيتها المليكة انزلى عن العرش . أيتها المعبودة اخرجى من الهيكل . أيها الصنم كن امرأة . كفى ماجمعته من اكاليل الغار . انعمى بالحياة ومن يقول ذلك ؟ صوت كيتاهورا أيها الاسم العذب للشخص الحبيب !

أوركام : (غير مرئى) الارادة تعارض ساعة سنة

الطبيعة .. لكن تلك السنة تنتقم على غرة غير راحمة ! لقد استطاعت هذه المرأة أن تنكر أنوثتها خمسة عشر عاماوها كم الحب ينبثق محتدم اللهب .

سميراميس : (محدثة نفسها) شبعت من عبادة الناس . وددت لو أعبد وأحس أنا الاخرى مناعم العبادة . ان يدى اللتين خشنتا من قيادة الخيل والقبض على السيف تنكران لمس التداعب .

أوركام : ياحسرتا على فتوة العبقرية تتخاذل ثم تطير شعاعا !

سميراميس : (لنفسها) ماأعذب العيش فى قصر من قصور مصر منسية مجهولة لا أبصر أفق العيش الا فى عينى حبيب معبود . (وقد رأت أوركام) ألاتزال هنا أيها الساحر المشؤوم ؟

أوركام : (متقدما اليها) ألم تقولى اذا حققت الحوادث صدق انذارى صبرت على الصفاقة من وجودى .

سميراميس : أوركام . أحس فيك المعارض اللدود ولكنى أجد فيك من الذكاء مالا ألقاه فى رجالى . رضيت أن أستشف بنات صدرى أمامك .

أوركام : لقد أقصيت وزراء الدولة وحملة البريد لان مستقبل آشور يتوقف على النضال القائم بين المليكة وبين نزعتها .

سميراميس : لقد بذلت جهدى فى سبيل نينوه ومجد نينوه والآن أريد أن أحيا لنفسى .

أوركام : طياسان الملك يطويك فى ثناياه والذى يصل الى الذروة لايعرف سبيل الهبوط . لابد للعظيم أن يموت فى أوج مجده . الملك رسالة من السماء والرسول لا يرفض الرسالة .

سميراميس : الرسل من أهل السماء وبين جوانحى قلب انسان .

أوركام : دعى الماضى يتمثل أمامك . فكرى فى

الخاتمة التى انتهى اليها مينونيس ونينوس . انما تتذرك بمثلها الايام .

سميراميس : لقد عاشا فى نعيم يحسدان عليه ومن ذا ينبغى ما أنلتهما من مسكرات النعيم ؟

أوركام : أرى دم دركيتو يثور فى عروقك .

سميراميس : أمى ؟ لقد رأيتها فى المنام هذه الليلة .

أوركام : الحالم يرى فى حلمه أفقا جديدا . والاحلام كالمرآة تعكس آيات القدر .

سميراميس : على ضفاف بحيرة مقدسة هادئة الصدر رقيقة الماء رأيت امرأة لها تقاسيم وجهى تتقدم ثم تميل نشوى على جيد كاهن من الشباب . يتناجيان ثم يتبادلان القبل ثم يتعانقان وهبط الليل فاختفيا فى ثنايا سدوله . وعلى حين غرة ظهرت المرأة فى هيئة مخيفة تلوّح بسيف تقطر منه الدماء وأشارت إلى جسد الحبيب تعاوده كدرة فاذا هو على غرار كيتاهور . أما المرأة ولا أكذب نفسى أنها أمى فقد احتوتها مياه البحيرة الدكناء وطاع

القمر فاذا ضوءه ينتشر على تلك الجثة طافية مفتوحة العينين واذا بى ألمح تلك الغريقة تعود اليها الحياة ثم تنقض على تريد أن تجذبنى إلى غمار اليمّ . هنا صرخت ، أى دركيتو ماذا تحملين الى من نذير الشؤم ؟ كما أقصيتنى أقصيك عنى بدورى . أيتها القاسية اليك عنى ؟ وراعنى لمسها أول الامر لكن التى تقود الخيل مفتولة الساعدين وعبثا كانت تحاول اجتذابى فدفعتها عنى . وأيقظنى النضال وطلع النهار ، النهار الميمون الذى يبدد الاشباح ويلقى فى يد الصدق زمام الحواس .

أوركام : هذا الحلم منبىء بالحوادث . اذا أطعت نداء قلبك وصلت بك الحال الى قتل نفسك .

سميراميس : (وقد تركت المحفة) راحة القصر بعد حياة القتال تفسر نزعات نفسى الحائره . وماذا أستطيع أن أفعل ؟ أمتطى جوادى وأنطلق إلى السند تنهزم أمامى الجيوش أم أبقى فى نينوه فريسة للعواطف . اذا تعب رجالى من الحرب أقطعتهم الأرض وجعلتهم فى ظلال

السلم يستغلون خيراتها وأنا مليكة المجد فى آشور أريد أن اخذ قسطى من الراحة .

أوركام : لو كنت من عامة الشعب لاستطعت التصرف بنفسك . ولكنك المليكة ذات الجلال . بلغت الملك ووصلت مرتبة الخلود يجب عليك أن تظلى المليكة وأن تظلى الخالدة .

سميراميس : نينوس بالرغم من شيبه يكفل طفلة لقيطة ثم يجلسها على العرش ويلزم الحرم فى قصوره لا يشينه ذلك وأمره نافذ فى الرعية . وأنا التى تغمرنى هالة المجد والطهر لا أكاد أفرغ من الحرب حتى أرانى منذرة مهددة ! ليس فى بلاد آشور من له دقة ملاحظتك . أنت وافد من بابل تشرف على جنونى . العالم المبهور يشيد بذكرى ولا أجد فى وطنى الا ناقدا ينذرنى بسوء المصير .

أوركام : هذا الاخلاص فى الاهتمام بأمرك تبجيل لا اهانه . نعم ساويت كبار الفاتحين لكن أتظنين أن لا صلة بين جمالك وبين جلال سلطانك ؟ وبعد فهذه

آشور وقد أصبحت وقفا على تقديسك تشيد لك التماثيل والمعابد اذا بقيت ذلك المخلوق السماوى ذا الصفحة النقية . أليس لجند نينوس وقد نزلوا من أجلك عن الحياة أن يطالبوا بحق الزوج أوحق الحبيب . لم تعودى حرة فى أن تعملى عمل البشر وأنت تلك المؤلهة فى نفوس الشعب . أنت أحسست ذلك حين وقفت تنادين بين قوادك المتحمسين أنا حبيبة الجحافل . أنا عشيقة الجنود .

سميراميس : أتسجل على كلمات انطلقت من فمى حماسة فى الخطابة ؟ أنا مسؤولة عن العرش ، عن التخوم ، عن رخاء الوطن لكنى غير مسؤولة عن ميولى ولاعن ليالى سهادى . للصولجان حقوقه لكن جسدى متاعى . لقد رأيت ماآثرى التى بناها طموحى فانظر علاء بنائى اذا سما بى الغرام .

أوركام : أنت مدينة بتلك المآثر لحب الوطن . ذلك الحب هو الذى أطلقك فطرت فحلقت فى سماء الخلود وآه لو خنت عهد الشعب . اذن لحطمك الماضى تحت عبئه

الثقيل .

سميراميس : سأناضل وله فى وجه مجدى . سأعلم كيف أصل الى اخضاع آشور .

أوركام : الاساطير وصفحة تاريخك الحافل يحرمانك أن تستنيمى . لن تستطيعى تبديل طبعك . فات الوقت . اصبرى واقفة فى غابة الارز .

سميراميس ؟ شبعت من الفتح . شبعت من الحكم . شبعت من ذرع الأرض ألقى الرعب فى الأفئدة . أصبحت لاتهنى محارق التدمير ولا بناء المدائن . أيدهشك وأنت الذى لاينطق عن الهوى ولاتنزع بك المنازع أن يأتى يوم يفقد الاكليل بهاءه وتشبع النفس من المجد ؟

أوركام : المجوسى المكشوف عنه من ذوى الالهام لايطلع إلا على دنيا عاوية باهرة النور تزهر فيها الفكرة الساميه . يفكر وماتفكيره إلا نفاذ . أيتها المرأة دنياك أحنفاث أحلام وأحلامك مسبحها الغرام .

سميراميس ؟ الغرام ؟ لم أشعر به أبدا . لكنى بعثته فى القلوب وكلما ذكرت النعيم الذى خلعته على العشاق داخلنى الوجد والحنين الى تلك المناعم فى ظلال الهيام . قلت الاحلام توقظ الغرام . . . سأخلص فى نجواها كما يخلص العبد فى صلاته . وآه لو أسعدنى الحظ فظللت فى نعمى الحياة بالرغم من كر السنين أجنى أزاهير الشباب .

أوركام : ياملكة !

سميراميس : سحقا للخواتيم . وأهلا بكيتاهور .

أوركام ؟ منذ الفجر يتنسم طيب لقياك فان رأيته فاذكرى ماأحاط اسمه من الاخطار . ذلك المقهور عنوان انهزامك .

المشهد الثالث

— سميراميس . أوركام يقدم كيتاهور ثم ينحسب —

سميراميس : متى رأيته أرى نفسى جليا ثم أستشف خلال النذر حقيقة شعورى وهو الذى أتبع .

كيتاهور : (جاثيا على ركبته) أخيرا رضيت أن

تمتعى العين بمرآك . لم أقصيتنى عنك ذلك العهد الطويل خفقات القلب ميزان الحيـاة والحياة فى غـير دنيـاك شقاء وملل .

سميراميس : تعـال حدثنى حديث الغرام .

كيتاهور : انظرى حولك هذه التماثيل . هل لها وجـود فى الظلام ؟ لا . انمـا يخلقها النهار . فاذا كان الغروب انطفأ بريق الحجر وهو حياة المـادة . مثـلى مثل هـذه التمـاثيل . اذا بعدت عنك غشينى الظلام لان ضيائى بريق عينيك .

سميراميس : (مشيرة) هات هـذه المرآه .

كيتاهور : مولاتي . عيناى أخلص ودا .

سميراميس : بدأت كف الزمن تخط فى طلعتى . غداً يذهب عنى جمـالى .

كيتاهور : سميراميس ! يا للجحود ! أنت لاتعرفين نفسك . لك سحر سماوى لاتقوى على شرحه الالفاظ انه عصارة من الفكر والقوة والعبقرية وانه خليط من

النصر والمجد . أنت ذلك الكائن الخيالى الذى يصوره الشاعر من قوة البطولة وهالة الملكوت . أنت أرملة وتشبهين العذارى . أنت امرأة وعليك سيما البطوله . ان قلبك الكبير لم يعشق الى الآن غير المجد . آه لو أوقظ ذلك القلب معبد الطموح . آه لو أنبه الى الشعور بنعمى الحياة ، ذلك القلب الذى لم يتدله الا بحب المفاخر . ما أعذب أن أدله على خفيات الغرام . أيتها الملكه . ما ابدع ذلك الفتح . ما أجل هذا النصر ان فى حبك لى ، أنا الذى عشت فى سماء الخيال ، شرف الانتساب الى الماضى الجليل والآجل الباسم .

سميراميس : آية المدح من رجل واحد أشد عذوبة من هتاف الجيش كله . أى أمير النيل . كيف كانت حياتك من قبل غزوى بلادك ؟

كيتاهور : تاريخ أمتى يبتدىء مع العالم . أول من تملك كان من أبناء النيل . لقد كان أكبر همى أن أسير على غرار الاجداد لكن الكهنة ، وهم حفظة التقاليد

كبتوا فى جماح البطوله . ومن الذى يحاول السعى العقيم اذا انقطع أمله من لطف القضاء ؟ سبيل الامم من رسم كف القدر . لقد رأيتك تخضعين بلادى غير غاضب . أرأيت المفتول العضل اذا هدّ منه الكبر فأصبح أضحوكة الاطفال ؟ ذلك شأن مصر العريقة وقد أصبحت فريسة لشباب الشعوب . أنت مدينة فى حياتك الجليلة لشباب أمتك ولا بد لمن يخلفك وان ساواك فى الرفعة أن يرى تدهور شعبك . ولو كنت مليكة على النيل سيدة على أمة مستنزفة لما أبقت عبقريتك على مجد الوطن . أنا أشرف الرجال فرعون تنحدر دمائى من صلب القرون وهأنذا أرزح خاضعا تحت عبء التاج ماالسيف الاعصا فى كف طفل لعوب لاتغنى شيئاً أمام القدر الذى بيده مقاليد الامم .

سميراميس : وهل سقاك الوجد من كاس الغرام ؟

كيتاهور : قطفت ثمارا شهية وشممت ورودا ندية

سميراميس : هل أحببت فى حياتك ؟

كيتاهور : أنا أحب الآن .

سميراميس : لكنك غير محبوب .

كيتاهور : آه لو أمكننى أن أعيش فى ظلك ! اذن تركت فمى يسكب فى سمعك حديث قلبى الأمين . مليكتى أسعدينى بنعمة القرب منك يمل الى فؤادك .

سميراميس : هذا الحب وليد العشرة وئيد الخطى وأتصور الحب مسرع الخطو باهر اللألاء .

كيتاهور : وهكذا غمرنى ضياؤه منذ أن أشرقت طلعتك . قد كان قلبى خاليا فقال أهلا بالغرام .

سميراميس : ألا تسمع فى الفضاء همس النذير ؟ تغيم على نينوه طائفة من جن الشر وانتظار الخطب أدهى من وقعه المشؤوم . سينالنى الشر على يديك .

كيتاهور : وأنا أنذرت بالهلاك فى حبك ؟

سميراميس : وهل تصدق ذلك ؟

كيتاهور : الحياة مجد أو غرام فان خلت منهما لا تعدل الحزن على فقدها .

سميراميس : أظنهم خبروك أنى اذا شبعت من حب ساعة ذبحت العاشق الشقى .

كيتاهور : قلبك الكبير اذا مسته نار الغرام خلقت منك عاشقة وفية يامن تخلصين فى كل عمل جليل .

سميراميس : وهل تخلع ظل أيامك على ليلة من ليالى سميراميس

كيتاهور : أهب عمرى لخطفة البرق ان كان روحك فيها .

سميراميس : وهل تريد روحى ؟

كيتاهور : أريد روحك . أريد خواطرك . أريد الاحلام فى منامك .

سميراميس : كل رجل فى جيشى يخصنى من قلبه بشعلة قوية خفية .

كيتاهور : ومن الذى يراك ولا يهواك يابنت الخلود ؟

المشهد الرابع

— سميراميس كيتاهور أوركام —

سميراميس : وماذا جئت تصنع ؟

أوركام : ذاكر هنا .

سميراميس : ليحضر .

أوركام : ياللويل . الغريزة عمياء . لاتهيجيها .

سميراميس : وهل أهتم بهذه الصغائر ؟ ألست المليكة ؟

أوركام : العين الغيرى لاترالك الا امرأة قاسيه .

سميراميس : تضايقنى جرأتك !

أوركام : ستقضين بطعنة واحدة على حبك ومجدك سيكون ذاكر أداة القدر . (يصعد الدرج) الآية آخذة فى التمام

المشهد الخامس

— سميراميس . كيتاهور . ذاكر —

ذاكر : (يتقدم غاضبا الى الملكة) لقد ذرعت آسيا وافريقيه لاتنزل عيناى عن ذؤابة خوذتك وسيفى يلمع حيث سارت جيادك والآن تمت آية الانتصار وقر السيف فى قرابه وانعقدت على ذاكر ظلمة النسيان وبدأ رجل الحرب يشعر فى قصرك بوحشة السجين ! الوداع . اذا أشرق يوم الحرب هرعت إلى النضال .

سميراميس : كيف ؟ أتتركنى ؟ ماذا تريد من الرحيل ؟

ذاكر : وماذا أستفيد من البقاء ؟

سميراميس : تصحب أعلامى الى الفتح الجديد . لم يبق أمامى الا بلاد السند والهند تغرى طموح الفاتحين لكن أهل الكهانة أنذرونى بسوء المصير وهددونى بانهيار صرحى القديم اذا أقدمت على هذه الحرب .

ذاكر : أيتها الملكة لتنعمى فى ظلال السلم . هذه مناى . (يهم بالذهاب)

سميراميس : لاترحل . انى لأدب الى قرارة فكرك .

ذاكر : ان كان ذلك فكيف تنزلينى على البقاء ؟

سميراميس : طاعة لأمرى .

ذاكر : لقد أطعتك فى سابق العهد وكنت المعبودة العادلة .

سميراميس : ألا أزال سميراميس ؟

ذاكر : اسمى الاخلاص فى نصح رجل الحرب ان اقتحامك أسوار بكتريا لم يستهو غير الملك . لما أخذت إمرة الجيش تبسم القواد لكنهم لما رأوا تلك المرأة الناعمه تستحيل إلى قائد مغوار يصبر على التعب ويجبه المخاطر ، لما رأوا كيف تبذلين الشباب والجمال فى سبيل الفتح ، أخذتهم نشوة الحب ، والحب يضرم الاقدام ، فأتوا بما تحار فيه العقول . لقد دفعت الى الحرب جيشا من العشاق . ولم تكونى تجهلين ذلك لانك دائما تسوقين الحديث الى القلوب وتخاطبين الشعور فى أنفس الجنود . ألم تقولى البارحة أنا حبيبة

الجحافل . أيتها الملكة احذرى الغيرة فى قلب الجنود

سميراميس : ألا تهيم وجدا بتلك التى لم ينل قلبها انسان !

ذاكر : أود أن أدفع عنك الكوارث .

سميراميس : خير لك أن تدفع الوجد الذى يعميك

ذاكر : هاتى المثل . هيا ادفعى مخاطر الحب الوليد .

كيتاهور : (متدخلا) كيف تتدخل فى شأن المليكه .

ذاكر : (ساخرا) المصرى المخلص فى رغبته يتوسل وينتظر فان لم تكف رؤيته لبث الحب فذلك أن قد هجره آمون .

كيتاهور : ماالذى تود من هذا التحدى ؟

ذاكر : أيها الغريب . أيها الرهين المقهور اسمع ليس فينا الا من يحمل تحت درعه قلبا تدله فى غرام المليكه . ولست ترى على صدر هذ البحر المتلاطم الوجد موجا أو زبدا يعكر من صفاء ذلك الغرام . هى أبدا

منيعة الجانب قدسية الروح فاذا علم أحد بمياها اليك وتفتحت تلك الندوب من الغضب طلب الكل ثمن الدم المسفوك .

سميراميس : (تتوسطهما) أنا سميراميس ذات الجلال أسيرة الشعب ؟ عبدة الكهنة ؟ رقيقة الجيش ؟ سجينة المدينة ؟ ياسوء ماوصلت اليه الحال !

ذاكر : السوء فى حبك المصرى .

كيتاهور : (متقدما الي ذاكر) أيتها الملكة . أشارة منك أسعى إلى الموت أو أكم هذا الفم الوقاح . أعفينى من قسمى (تفصل بينهما)

ذاكر : تقدم وليحتدم بيننا النزال .

سميراميس : لقد أقسمتما لى (تفصل بينهما مرة اخرى)

ذاكر : كيف ! الملكة تنزلنا على البر باليمين وقد سمعناها تقول ، لن يكون لنينوس خليفة على العرش ،

كيتاهور : وما همى بسلطان ودوله ؟ أنا لا أرى

سوى المرأه .

ذاكر : يا للكفر ! سميراميس معبودة مملكه .

كيتاهور : اذن هى حرة فى الاختصاص بمن تشاء .

سميراميس : يامن تعيش فى ظلى . هل تفكر فى معارضتى ؟ لاترنى وجهك أيها المجنون .

ذاكر : أنت حبيبه ؟ تحبينه

سميراميس : ذاكر يجسر على توجيه السؤال الى (تشير اليه بالانصراف . يصعد الدرج)

ذاكر : (من : المصطبة الأولى) سميراميس ! الويل لك ولنينوه !

سميراميس : (عائدة الى المخفة) أسمع نذير الويل من طالعى المشؤوم . وماهمى بصوت النذير . أى كيتاهور . تعال حدثنى حديث الغرام . فأنا التى فى مجدها ، وأنا التى فى حبها سميراميس ذات الجلال

الفصل الثالث

المشهد الأول

— يظهر ذاكر على قمة الدرج هائجا غاضبا ثم ينزل مسرع الخطو —

ذاكر : (وحيدا) أين هما الآن سعيدين خاليين يرددان القسم على الحب اللعين ؟ أين هما الآن يتبادلان القبل بينما آكل قلبي من الغضب ؟ لقد قادتني الغريزة الى الحديقة المعلقة حيث يجمع السكون المعطر صفوة الاحباب . لا أستطيع أن أجعل الشك سبيلا الى نفسي . سميراميس تحب كيتاهور ! لا أزال أسمع ألفاظها المرة ولا أزال أرى نظراتها المتباينة تنتقل بيني وبينه . واليد التي كانت تشير الى سبيل النصر ، اليد الموقوفة على السيف والصولجان لا أزال أراها تمر في رفق على جيد ذلك الأسير . أي آلهة آشور ! كيف العمل ؟ كيف أطيق الصبر على التفكير فيما يصيبان من متع النعيم ؟ لطالما انطويت على حب

بلا أمل لقد كانت سميراميس تطير فى سماء مقدسة تعلو على نينوه وتسمو عن العالم . ولقد كنت المفضل من بين عشاقها العديدين ، وكان سرى مصاحبى الى القبر . لماذا آلمت حزنى وهاجت قنوطى ؟ أنا ذلك العابد الذى ينهض للصلاة فيسمع قهقهة السخر من معبوده ! لكن . لا . سأبقيها عنوة فوق تلك السدة العلية التى رفعها اليها عبقريتها واخلاص شعب بأسره . أأنا ذلك الخصم الذى ينطوى على حقده ؟ لا . أنا الآلة فى يد القدر . سأنقذ الملكة والدولة والوطن . لن يقف يمينى فى سبيل السعى الى هذه الغايات الشريفه . سأكون رجل الحرب فأضرب عدو الوطن . ومتى خرج النفس الاخير من فم الساحر المصرى انطفأ ذلك الحب اللعين فى قلب المليكه . لن تغيب الشمس حتى أكون قد طهرت نينوه من وجوده الداعى الى العار . وعندها أخلص من هذا الألم وأرى على يدى المصبوغتين دماء كيتاهور . (يصعد الى آخر الدرج و يختفى)

المشهد الثانى

— سميراميس —

جئت قبل ساعة اللقاء أفكر مليا فى هذا الحادث الجلل الذى ينذرنى بسوء المصير. ما أحلى انتظار الحبيب تحت النخيل ! ما أبدع الحمى السارية التى تفتح قلبى ! ما كنت لأدفع جيادى فى ميدان الحرب إلى ذلك المدى لو أننى أحببت وكنت سعيدة فى حياتى الوديعة. بلغت ذروة المجد لكننى كنت وحدى. أيتها الحمامة العاشقة لايرى ضعفك إنسان. هذه أنت ترتعدن وليست حمى المجد هى التى تسرى فى دمائك. أمس كنت تلك الذات السنية التى تجلو لأعين البشر جلال السماء. ماأعجب التغيير ! يسكن صدرى فؤاد جديد ! أيها التاريخ ، لقد أشبعتك. قف تلك العناية بى واختم سجل الذكريات المجيده. أملى الوحيد من الآن أن أنعم فى هذه الوحدة بلقاء الحبيب. أى دركيتو لقد أنذرنى

خيالك وهـذه نار دمائك تغلى فى عروقى . سأرتكب إثمك ويجرى علىّ ماجرى عليك وأكون قد حققت كل المنى . قبل أن تذوينى الحياة أريد أن أعصر ساعات العمر كما يعصر الـكرم الهديل ثم أشرب مايسكر الروح من خمر النعيم . أى كيتاهور . أى فتحى الجليل . حبك أعاد إلى عهد الشباب الـكنز الثمين الذى هدرت أيامـه . أى كيتاهور قبلتـك التى تقهر الزمن تحمى جمالى . القضاء يؤكد الوعيد . سأمهد له السبيل . سأجلس تحت ظلال الارز حازمة ثابتة الجنان .

المشهد الثالث

— سميراميس . ذاكر —

ذاكر : (وقد اقترب منها واجما) هذا أنا !

سميراميس : لقد توقعت حضورك . أعلم أى نار تحتدم فى صدرك .

ذاكر : أترين آلامى ولا تشفقين ! أستحلفـك

بكل عزيز عليك ....

سميراميس : ذاكر . ليس لى عزيز من كل ما كان قريبا إلى نفسى . لقد اختفى الماضى كما يذوب السراب البعيد . وأصبح المستقبل خليطا لالون له ولا كيان .

ذاكر : وحق مجدك الخالد ....

سميراميس : مجدى يضايقنى . أنه ثوب فضفاض يعوق خطوى على المسير .

ذاكر : هل انمحت من خيالك تلك الحياة التى فيها اقتسمنا الخطر وأقمنا جلائل الأعمال ، هل نسيت إذ كنا نخلص نجيا تحت خيمتك والليل ممتد الرواق نبسط الخرائط ، ونقدر الطريق من مرحلة قطعناها وأخرى نريد فيها المسير ، نفكر فى حاجة الجند وأخطار السبل وندبر حيل المفاجآت أوخطط الهجوم !

سميراميس : لقد أحببت الفارسة الباسلة التى تلبس الحديد . أما الآن فانظر إلىّ ثم ابك . هناك امرأة أخرى تحت هذه التقاسيم ، امرأة لاوزن لك فى عينها

الآن . سميراميس القاهرة تستردّ حريتها اليوم .

ذاكر : اطردى المصرى ....

سميراميس : أنت قائد الجيوش وقد عرفت لك فضلك هل تريد أمارة تهيمن عليها ؛ اختر لنفسك ما تحلو .

ذاكر : أريد أن أحيا وأن أموت فى ظلك .

سميراميس : هذا الخلق يضايقنى . اختر سبيلك وارحل .

ذاكر : سأحمل معى أينما سرت ذلك الظن المريب أنت تحبين ، لاأسألك قلبك . لك أن تحفظيه لنفسك ما أشد نكرانك عناية القدر : أتودين أن ينقلب هتاف العالم صخبا وتهديدا ، هذا الشعب ، هذا الوطن ، هذا الجيش الذى ينحنى تحت سنابك خيلك ، كل أولئك يحتفلون بعارك ، ويرون انفسهم قد انتقموا .

سميراميس : لقد حطمت ماطلع علىّ من عقبات . ألا تريد الانصراف إذن لابد من ان تموت .

ذاكر . وأى يد تجرأ ان تمتد إلىّ .

سميراميس : يدك .

ذاكر : يدى : وهل أضحى بنفسى فدية منى لخصمى !

سميراميس : نعم ستفعل ذلك .

ذاكر : أواه : ضاع رشادى !

سميراميس : أقسم بمجدى التالد أن أنفيك .

ذاكر : وأسمع هـذه الاهانة من فم المعبود !

سميراميس : الختل من طبع نساء الحرم . أنا لاأعرف هـذا الفن وأسعى الى الحب شامخـة الرأس براقة العين كما كنت أسعى قديمـا الى مقـام المخلود . تراك ذلك القلب الـكبير الذى حلمت بحبه ؟ لقد أحبنى واحد . . . وعرف طريق الوصول إلى إلفات قلبى . كان ذلك فى ليلة أعقبت يوم القتال . رآنى أقبـل جنديا يحتضر فطعن قلبـه . ما كان أبسل ذلك العاشق ! لقـد رأى قبلـتى وزنا لـكل حياته .

ذاكر : لكنه لم يكن يدرى أنك تحبين انسانا آخر .

سميراميس : نفد صبرى ..

ذاكر : وهاج غضبى . ويل لكيتاهور !

سميراميس : سأعرف كيف أحميه . سأعرف كيف أثأر له . والويل لك أنت ياذاكر .

ذاكر : لم لم أمت مستشهدا فى ميادين القتال ؟ ما أظمأنى إلى موقعة أخيره !

سميراميس : السيف الذى أصبح وقفاً على إشتار لن يسل بعد اليوم . ان كان صوت الضمير صادقا فهذه خاتمة فتوحى . بالامس ، كان فى كفى مصيرى . والآن ، أصبحت فى كف القدر . لقد أرخيت رسن الجياد فغدت تقذف بى مابين أخطار السبيل . لقد أحببت معبودة آشور فهل تريد أن تنعم بعدها بالحياة ؟ تقدمها الى الموت . قدم لها هذه التضحية العظيمه ! أكرهك حيا فى الوجود ومن يدرى فقد أهوالك من بعد المهات .

ذاكر . لقد طلبت الموت فى ظلال السيوف !

سميراميس . (وهى تريه خاتما فى يدها) هل يدرى الانسان مايخبىء له القدر من صنوف العذاب ؟ أتريد السم الزعاف الذى يحويه هذا الخاتم ؟ نصفه يكفى لقتلك . وأحفظ الباقى لنفسى . أتبصر هذه الحبة السوداء ؟ لقد كانت رفيقتى أينما سرت وكان فيها خلاصى مقهورة أو أسيره . أيها المقهور فى الحب ؟ خاص بها نفسك .

ذاكر . مليكتى : أتسبرين غورى ؟

سميراميس . (ولا تزال مادة يدها بالخاتم) كان فى استطاعتى أن أصب هذا السم باسمة فى فمك : لكنى أريد ان تكون راغباً فى شرابه وان تقطع راضياً حبل أيامك . أمنحك النوم لاقضى عليك بالتعذيب . سترى نفسك تذوى فى هدوء وتصبح بغتة أبقى حياة وأمجد ذكرا . ستظن نفسك حالما ، ثم يغشاك المنام ، وتغفى بين احضانى . ومن يدرى فقد اهواك من بعد الممات

(ذاكر ياخذ الخاتم مسحورا فيظهر أوركام)

المشهد الرابع

— سميراميس . ذاكر . أوركام —

سميراميس : (بلهجة الصدق فى الاخلاص) يا للسمو !

أوركام : (وقد وقف بينهما) يا للغباء !

سميراميس : ألا تزال المجنّ الذى يردّ سهم مشيئتى ؟ أيها المشعوذ اللئيم لايرعى للملوك حرمه . وأنت أيها الجندى الجبان ، أعد إلى الخاتم !

ذاكر : (لأوركام) : ياعراف . أجبنى . هل جننت ؟

أوركام : (لذاكر) نعم جننت لقد عشت هذا العهد الطويل تحت إمرة هذه المرأة ثم تحلم أن تخضعها .

ذاكر : سأقصد نارمسين أشكو اليه شقائى وأقدم القربان وأطلب الرحمة ثم اسأل الله فى ظلال المعبد ان يهدى المليكه . . وبعدها أنشد عقلى الذى قد طار منى !

المشهد الخامس

— أوركام ـ سميراميس —

أوركام . اليوم يحتفلون بعيد تموز والجيش فى انتظار تشريفك . هذه طقوس العيد .

سميراميس : النصر والرخاء من شؤون الصولجان . أما الحفلات والصلوات فتشرف عليها القلانس . المعبد يضيق بخيراته . ماذا يجب على بعد ذلك ؟ سأبقى هنا أفكر فى حظى الجديد .

أوركام : ، اصبرى واقفة فى غابة الارز ...

سميراميس ! علم المغيب غرور . اسمع نبوءة أصدق من نبوءة أمون . كل منا ، قاهرا كان أو مقهورا ، يحمل فى نفسه سنن الحياة والموت دائمة التناحر تتبادل الغلبه . والارادة تضعف وتلين ، شأنها فى ذلك شأن الحواس . وأشد الناس عناداً لابد مستسلم يوما من الأيام ، كقاطع الصحراء يضنيه المسير فينكر الواحة المقبله وينام غير

مهموم بصحوه .... أوركام ! أحقا أنت مخلص فى عقيدتك ؟ مهد لى الطريق بدل أن تعوق سيرى . ومن يدرى فقد أمل الشىء بعد امتلاء رغبتى . ينحدر الماء فى رفق إذا وجد المجرى الموافق . انها العقبة تجعل النبع الصافى من جارفات السيول .

أوركام : أنت التى وضعت العقبه . تحديت ذاكر العاشق المجنون .

سميراميس : لماذا ظهرت ساعة أن أخضعته لسحرى ؟

أوركام : لأن فى موته ثورة الجيش .

سميراميس : أعرف كيف أقهر لا كيف أخادع .

أوركام : إن فى نوايا النفوس حربا طاحنة أشد هولا من طعان السيوف . وهذه الحرب حرب علينا . النزعة والارادة عدوان ألدان يتناحران من غير رحمة . وكلما تصادما فاضت دماء قلوبنا . تقترب منك الساعة الرهيبة التى تنزلك على انكار جنسك . أى سميراميس أخاف عليك ويلات الغرام .

سميراميس : كما غيرت مجرى السيول أوقف مجرى الشباب . النعيم لايقاس بأجزاء الزمن . فى القبلةالواحدة عناصر الحياة .

أوركام : أنت لاترين الحق ولا تسمعين صوت العقل فلا تقدرين عداء العناصر ولاتفهمين خصومة الرجال . ناموس الطبيعة ومصلحة الوطن يتكاتفان على شقائك . أى ضحية جلالك ، سلمى الأمر . الشىء المألوف الذى لا يؤبه له يشين أهل التاج والهيكل . يامعبودة نينوه لقد فقدت حقوق البشر . أبعدى كيتاهور ولتهدأ الخواطر . سأختار يوما ومكانا ملائمين وعندها تختفين فى هالة من المجد .

سميراميس : لا . إنى لأمضى إلى الغرض كما ينفذ السهم المارق جسورة مقدامة لامختالة خادعة . اذهب فاحلم وحدك بالحكمة والكهانة .

أوركام : (صاعدا الدرج) ضاع جهد العقل فى حرب الغريزة . ما أضيع النصح لمن فقد الرشاد من الغرام .

المشهد السادس

— سميراميس —

أإذا لم أكن سميراميس ظلات جميلة إلى الآن ، وملكت أفئدة العباد ؟ أكان مينونيس يشرب من يدى على حافة النبع . ونينوس يذلّ لى إذ يرانى ؟ منذ ذلك العهد فكرت وأردت وكان لى شعلة الذكاء وقوة الاراده . والآن ، خلق لى قلب جديد ، قلب يشتعل ، أحسّ خفوقه مسحورة ذاهله . وهأنذا أرى الأيام تسلبنى شبابى . النزعات تمثل فصول الروح ، ولكنى عكست نظام الطبيعه . بدأت أجنى ثمار المجد فتجنبت كفى أزاهير الغرام . ونزل شبابى عن ورده البهىّ تلقاء عود من غصون الغار . سأملى إرادتى على السنين التى أذالت من جمالى وهى تلك الارادة التى أخضعت بها رؤوس العباد .

المشهد السابع

— سميراميس . كيتاهور —

سميراميس : (متقدمة اليه) أخيرا ! ما كان أشق انتظارى ! ماالذى يشغل بالك ؟

كيتاهور : فى سبيلى إليك حدجنى نارمسين بنظرة ماؤها الحقد ، وسمعت الغربان تنعق عن شمالى وزلت قدمى ثلاث مرات .

سميراميس : نعم ، القدر المحتوم ينشر فوقنا أجنحته السود . إنى لألقى فى ثنايا معطفى بعض طيات الكفن . لتمض مشيئة القدر .... ولنمض فى تحقيق آمالنا .

كيتاهور .... هل تحبنى !

كيتاهور . إن لم أكن أحبك ، فهل كنت أترك وطنى وأهجر قصرى وأرضى أن أكون رهين أسر أحتمل الاهانة من حاشيتك ؟ إن لم أكن أحبك ، فهل كنت أرضى البقاء بينما أرى الخنجر يلمع فى الظلام ؟ ومن

تدرى ؟ قد يقتانى هذا المساء ذاكر أو عابد غيره من بين عبادك . وبالرغم من كل ذلك أظل هنا ولاأرحل .

سميراميس : أراك تنتظر الهلاك ثابتا أمام القدر . لكن الانسان لايحارب شعبا بأسره . الفرار واجب .

كيتاهور : هل تريدين أن أتركك ؟

سميراميس : لا . نفرّ سويا .

كيتاهور : الملكات لاتفر . ربما نقمت علىّ بعد الفرار ان أنزلتك من قمة المجد التى لقيتك فيها .

سميراميس : سميراميس لاتعرف الندم .

كيتاهور : كيف ؟ هل أنشر ظلى على حياتك الزاهيه ؟

سميراميس : أى كيتاهور ، لقد بدت لى بنات صدرك . ماأشد اخلاصك ! نينوس ومينونيس عشقا شبابى ، أما أنت فقد أغراك طبعى الغريب .

كيتاهور : لم تنكرين عاطفتى الصادقة التى محت من خاطرى التفكير فى سلامتى وجلالى ؟

سميراميس : أنا أبعث الاحترام وأبعث الخوف . أنا عظيمة ! أعرف ذلك . لكنى ، لاأحس الحب ممن حبه يملأ قلبى !

كيتاهور : وحق الآلهة ، وحرمة الاجداد أنا لك .

سميراميس : غير آسف ، ونمضى الى منفيس ، الى قبور أسلافك ، غير خائف مما تخبىء الأخطار ؟

كيتاهور : مليكتى الحبيبه ، وقف عليك حياتى وفى يديك مماتى !

سميراميس : ياأكليل الفتح ، يامفاخر الدوله ، ياحياة البطوله ، ياسجل الخلود ، أيها الصولجان المعقود على السيف ياأقواس النصر ، ياصليل الحديد ، يابريق الدروع ، ياانداء الحرب . الزموا السكون ! . . . لقد أصبحت روحى تلك القيثارة الحنونة التى ترسل أغنية من أغانى الحب العذاب . يا كأس الطموح التى حبابها من دماء لقد أفرغتك والآن أعافك . انك لم ترو لى غليلا . وأنت يا كأس الغرام ، هذه شفتاى !

كيتاهور : أيتها المرأة العلوية حنانك مجد وعلاء . وقلبك شمس باهرة الضياء . أنت خالده . حديثك فيه صداء السماء .

سميراميس : ياحسرتا على الذى ضاع . أفنيت عمرى من أجل تيجان الحديد ! والعاقل من ذهب به خياله فأصبح فى نفسه عالمه ، لايرى بين الحقائق الاحلامه الذى يهوى اليه فؤاده .

كيتاهور : كل الاحلام تذوب أمام هذه الحقيقه . سميراميس معشوقة الوجود أصبحت عاشقه !

سميراميس : أنفاسك تنعش روحى كما يصحو الزهر عند نداء تموز .

كيتاهور : ياللسحر ! صوتك الآمر القاطع يسيل من العذوبة والحنان !

سميراميس : ذاك صوت حنانك يرن فى شعاب قلبى . أو آه ، ماأحلى الهوى والغرام !

كيتاهور : معبودتى ... إيزيس ...

سميراميس . أنت الساحر الذى يرد على أيام الشباب .

كيتاهور : هل ترتعش هذه اليد التى يصول فى قبضتها الحسام !

سميراميس : ما أبهر النعيم بعد الملل الطويل !

كيتاهور : وهذا الساعد الفتاك يحتضنى فى رفق . . وفى عينيك تغيم الدموع ؟

سميراميس : ما أعذب الدمع السجين ! يا ندى الحب ؛ سل على قلبى وفتح فيه أزهار الغرام .

كيتاهور . وهذا الصدر الذى يلبس الدرع يهتز وجدا وحبا !

سميراميس : انما يطيع أمر قلبى . كلى لك . أسعدنى ترد لى الحياة ما تدين لى به من عيش النعيم . إذن ، هل أذوق نشوة الطاعه ؟

كيتاهور : يا للحلم الصادق ! تحدثينى عن الحب ؟ هل أنت حقا سميراميس ؟

سميراميس . إن كنت لاتصدق عينيك فاسمع شهادة شفتيك .

المشهد الثامن

ـ سميراميس . كيتاهور . الكهنه ـ

كيتاهور : لقد نعمت الحياه . لن يستطيع الموت أن يحرمنى شيئا .

سميراميس : أما أنا فقد ولدت هذا المساء . آه أعد على سمعى تلك اللغة الخفية التى تعبر وحدها عن الروح ! لاتدر عينيك عنى . لاتحرمنى هذه المرآة الساحرة التى أرى نفسى فيها جميلة !

كيتاهور : سميراميس !

(وقد أصبح الكهنة فى نصف دائرة حول العاشقين)

سميراميس : أنال فى هذه اللحظة القصيرة أكثر مما يستطيع أن ينيلنى طالعى السعيد . كيف ؟ أبينما أتهالك فى غرامك أراك شارد اللب مشغول البال . ما الذى

تخافه ؟ من الذى يجسر ؟

كيتاهور : (وقد رأي الكهنه) انظرى ؟

سميراميس : (وهى تبعدهم بأطراف معطفها) يا للجرأه ! يا للوقاحه ! أظننتم أن هذه القلانس تحميكم غضبى ؟ لا بد أن تلقوا عذاب النكال : فى غمرة الحب ، وفى غمرة الحرب ، فى نعمة الوصال ، وفى حومة القتال سترون أنى دائما سميراميس ذات الجلال .

الفصل الرابع

المشهد الاول

- نارمسين وحيدا -

هـذا الشفق نزع الوطن . ساعة رهيبة يتمزق فيها سجل التاريخ على يد النزعات مابين أنياب الخبل . لن تستطيع الاجيال المقبلة أن تفسر هذا الانحلال فى مجد آشور . غضب ذاكر يثير عواصف الثورة . يقول للشيوخ سميراميس فريسة السحر تريدا لهرب إلى الصحراء تاركة نينوه وتاج نينوه . واسم كيتاهور يمتزج بصراخ الشعب وتهديده . وعن قريب تهتز الرماح فى أيدى الجنود . سميراميس سيدة الملوك أصبحت عاشـقة خاضعة لسحر المقهور . والآن ، وهذه نينوه تضج بالفوضى وتهيج فيهـا الجنود شاكى السلاح ، أقف وحدى باهتا عاجزا عن دفع المصيبة الداهمه . وهكذا لم تكذب آية السماء ! لقد أفل نجم سميراميس من بعد أن نبذت درع القتال .

المشهد الثانى

— نارمسين . أوركام —

نارمسين : ان اسمك الفكر وانك لتعكس النور الذى لم يشع بعد . فما الذى صنعته فوق صنم الكهنة أيها العراف الفخور ؟

أوركام : كان من الواجب الفصل بين طالع سميراميس ومستقبل آشور .

نارمسين . اذن ، هذه الدولة الجليلة تتداعى من أجل عاطفة امرأة !

أوركام : ستنجو نينوه بعد فصل الجسد عن الروح والشكل عن الفكره .

نارمسين . أهى مؤامرة تدبر ضد حياة المليكة الخالده !

أوركام . اذا أردت أن تملك أعنة البشر فلا تقف فى وجه الغريزه . إنك ان أرخيت لها العنان همدت

وقرّت . سميراميس ترفض العرش العظيم . لتهوى عنه وعلينا تدبير السقوط .

نارمسين : لقد تجلى ختال كلده !

أوركام : لقد أخطأنا بتأليه الملوك . هذه نزعة من سميراميس تهد كيان الدوله وتوردنا موارد التلف . انردها إنسانة ولنهيء لها النزول عن العرش ، على أن نلقى على الحادث ستائر التقديس . لننقذ شرف الصولجان وجلال المآثر فتختفى فى هالة من المجد تاركة لنا ثمار أعمالها المجيدة . لنسرع فى تدبير مظهر هذا الختام .

المشهد الثالث

ـ سميراميس . كيتاهور ـ

سميراميس : فوق رأسينا ينعقد سحاب كثيف . لم يعد لى قلب مخلص فى هذه المدينة التى نبهت بذكرى .

أحس فى جزعى ودنو القدر المحتوم الذى يحقق الامل أو يقضى عليه . أنا التى هجت المخاطر كما تهيج الشهوة . لا أرى نجم سعدى لامع الضياء . لاأزال الى الآن تلك المليكة العظيمة ذات الجلال ، لكن غدا لن يبقى لعزيزة الفتح إلا قلبك الخفاق !

كيتاهور : كم بين ليلة الزفاف وهذه الساعة من نفاخ وتهديد وغدر ! لا أريد أن أموت قبل تحقيق الأمل !

سميراميس : ذاكر يتوعد ولكنه يعلم أى منتقم يهيج . دعنى أشرب خمر هذا النعيم الجديد الذى لايعدله شىء فى الوجود . . . الغرام !

كيتاهور : هيا نخاص حبنا المهدد . أنمضى الى مصر !

سميراميس : هيا الى الأرض المباركة التى أنت فيها اللوتس اليانع .

كيتاهور : نمضى على ظهر الجواد من غير ماحرس ؟

سميراميس : نعم . نظل وحيدين فى سبيل الحياه . أنا الباهرة الذكر أتذوق الاغفال . انا الحاكمة نصف

العالم أغنى عنه بامتلاك فؤادك . لم أبطأت فى انتشالى من هموم الملك ؟

كيتاهور : أيتها المليكة الظافرة . كيف ترضين أن تنسى جلالك . لندفع الخطر الداهم الذى يهدد هذا النعيم

(ينهض)

سميراميس : (وقد اجتذبته) دعنى أمتع العين بمرآك . دع قلبى يتفتح . لقد طال صمته تحت الدروع . كل الشعب يحس مبلغ فقدى لكننى لاأشغل البال بأمر البلاد . ما اضأل المجد بالسيف !

كل هذه الضحايا ، كل هذا الانقلاب فى نظام الطبيعة من أجل هذا الفرض الوحشى ، سوق الجيوش إلى المجازر لقد كان لابد من العرش والحرب والفتح حتى ينشغل قلبى كما يشغله الحب هذه الساعة . الآن قبلتك نزن العالم عندى .

كيتاهور : أصغى اليك نشوان الفؤاد .

سميراميس : وهل صنعت جميلا ؟ لاادرى نينوس

ضحى بحياته ، أما أنا فأضحى بتاجى . وما هى بمن يكتب على قبرى (سميراميس دانت لها آسيا وافريقيه) هذا الملك الشاسع لاتنضم يدى عليه . وهذا الشعب الزاخر لاأستطيع أن أضمه بين ذراعى . أما أنت ، فأنت الحياة وانت الأمل !

كيتاهور : هل اساوى عندك كل ماتتركين ؟

سميراميس : كيتاهور . المجد ان تعيش لنفسك ، ان تحيا لفكرتك ، ان ترى تحقيق آمالك . ماذا تكون دهشة العالم من رايى الأخير الذى ينكر كل مافعلت !

كيتاهور :إحترمى ماجرت به إرادتك .

سميراميس :لقد كنت ربة الفتك والحكم وكنت بين الناس لباة تترك للتاريخ أثر الظفر المسنون لاأثر القلب الحنون . اجعل حديثك عنا أو ، ترك الاحاديث أفضل . لنرهف السمع الى نجوى الغرام . ولنجد فوق الشفاه مايرسل القلب من عبيره .

كيتاهور : لا تزالين فى حنانك سميراميس ذات الجلال .

سميراميس : لا . أنا سميراميس ذات النعيم !

المشهد الرابع

— سميراميس . كيتاهور . نارمسين —

نارمسين : أتيت ضارعا أنا العبد الأمين الخاضع ، التقى الشقى أستحلفك أن تشعرى قلبك الرحمة بهذا الدوله . لاتفسدى العمل الجليل . لاتنكرى المجد الأثيل . لاتخربى نينوه يامن خلقتها من العدم ! سميراميس ، أجلى ذكرك الخالد . ياأم الوطن ، أشفق على وليدك .

سميراميس : هذه اللهجة لاتستر الوقاحة فيما تقول . أتيت تعكر صفو الغرام ، من قبل : أتباعك الكهنة بدوا لعينى واجمين وهذا أنت مراء ذليل . فى هيئتك الضراعة ، لكنى أقرأ فى عينيك دليل التحدى .

نارمسين : أنا الضارع باسم الوطن وباسمه أتكلم .

وفق بين مرماك ومصلحة البلاد . إذا رحلت تركت الفوضى إرثا لمن يخلفك . ماهكذا يترك المركز المقدس . نينوه تنتحب عند قدميك وآشور تتوسل إليك .

سميراميس : نينوه ، آشور ، المعبد ، التاريخ ألفاظ طالما استخدمتها . وهل تغير معناها ؟ انى لا أفهمها كما تخرج من بين شفتيك .

نارمسين : إذا فقد التاج العقل هوى تحت الوصاية وأصبح الحكم للقلنسوه . أن هذيانك يقلب شعبى رأسا على عقب . أيتها المليكه ، لن تبرحى .

سميراميس : أتدبر الأمر لقتلى ؟ أيها الاشيب اللئيم ، دبر الأمر ، لا تؤجله . لقد صح عزمى . وان سبق أمرى فرأسك لا بد أن يهوى قبل المساء . كيتاهور . هذا العقد شارة الملك العليه . كل من يحمله فى عصمة من الأذى . تقدم به الى الجحافل وليحضروا جميعا شاهرين السلاح .

المشهد الخامس

— سميراميس . كيتاهور . نارمسين . أوركام —

أوركام : أيها المجنون ! الى أين تمضى ؟

كيتاهور : الى حيث ترسلنى المليكه .

أوركام : يا للجنون !

سميراميس : كيتاهور ، أطعنى فأنى أطيعك هـذا المساء

(يختفى كيتاهور)

أوركام : أيتها الشقيه ، الهوى يخذل كل شىء فى الساعـة العصيبه . لو كنت تقبلت عونى ، لـكان فى مقدورك نيـل ماتشتهين وكنت ، وأهـل الهيكل فى نصرتك ، رحلت تاركة خلفك السلام . الآن يعجز فكرى عن دفع القدر . ذاكر أرسل بين الجند زفرات الغيور . وماستدعيت الا جحافل ملىء نظرتها العداء .

سميراميس : اغرب عن وجهى أيها الناصح اللجوج . ان كانت الصاعقة مهيأة فى الفضاء ، فلتنفجر ! لقد ملات الخوف والانتظار . اخوتى فى الحرب أقل منك رياء .

لقد كنت شؤما علىّ ، وما أفدت فتيلا . اذهب الكلام للقدر ، وآيته لابد أن تبدو جليه !

المشهد السادس

— (سميراميس وحيدة) —

أيها النصر ! لاأحسّ الآن رفيف الندى من جانحيك . أيها الصولجان ! أراك لاتلين فى يدى . تخذلنى قوتى والماضى ينكرنى . يامظاهر القوة والسلاح ، لقد قلبتم الى ظهر المجن وانى لاجبهكم أيها الاعداء الجدد أيتها الخواتيم الرهيبه ، ياسياط العذاب ، ياهيب الحرائق ياصراخ المذابح ، أيتها الاشباح الداميه ، أيتها الخرائب الملأى بالرماد . ياما أشد نكرى لكم جميعا ! كيف انحى ضوءكم من بعد تلك القبلة الأولى ؟ ابتسامة واحد محت حب شعب بأسره . لقد منحت هذا الشعب شبابى وحسنى . والآن يريد أن ينتزع منى حبى . لقد كدست كنوز العالم فى نينوه وستحيا آشور فى ظل ذكرى عهداً طويلا . وماذا كان جزائى عن كل ذلك ؟ دركيتو .

أنا مثلك أنزل عن الخلود ثم أسعى الى لقاء الغرام ستفد الجيوش . ومتى سمعوا صوت إمرتى وهيمنت عليهم نظرتى قروا وعادوا مخلصين . (أبواق) نادى منادى الجيوش . هذه هى الواقعة الخاتمة . أيكون حظى الانتصار ؟

المشهد السابع

— سميراميس . أوركام . نارمسين —

أوركام : سميراميس . أتسمعين هذا اللجب ، لن تستطيعى الخروج من الحدائق المجتاحه .

سميراميس : كيتاهور يفتح لى طريق الخلاص .

أوركام : وذاكر الهائج يسد باب النجاة . ذاكر خيال الماضى وشبح الدمار .

نارمسين : يا آلهة آشور . أين سبيل النجاة ؟

أوركام : الآن يقف التفكير أمام وقع الحوادث . لكن ، ستظل فى مظهرها سميراميس ذات الجلال .

المشهد الثامن

— كل أشخاص الرواية —

(تصعد سميراميس ببطء الي المكان الذي بدأت منه الخطاب فى الفصل الاول . تنتظر اجتماع الجنود الذين يفدون من جانبي المسرح في غير نظام بعضهم تحت إمرة كيتاهور والبعض تحت إمرة ذاكر . تدوى الابواق . يجتمع الكهنة على المصطبة الاولى . والغلمان على المصطبة الثانية . دوى طبول ثم سكون عميق .)

سميراميس : سمعت وحى الآلهة فاسمعوا جميعا أمرها وأظهروا الطاعة فى العباده . أنذرتنى السماء أن ستكشف لى الليلة أسرارا هامة عليها مدار رخاء الوطن . ولابد من طاعتى نداء السماء . ستسيرون فى ركابى الى باب المدينه . وأول نجم يلوح يرينى سواء السبيل . وعند انبثاق الفجر تنتظرون عودتى لدى الباب وهنالك أكشف لكم ماقضت به المشيئة فى أمر هـذه البلاد .

ذاكر : (متقدما) لك الامر والطاعه . يسرنا جميعا أن أوحت اليك الآلهه . اذهبى وافعلى ماجرت به المشيئه .

لكن ، دفعاً لما تدسه ألسنة السوء دعى فى حراستنا الامير كيتاهور .

سميراميس : ماأغرب العصيان ! ألاخروج من نينوه أطالب بالضمان ؟ ذاكر . أنت باسل فى القتال لكنك أقل قدرا اذا حاولت إسداء النصيحه . بلاؤك فى المواقع يشفع فى هذه الوقاحه . أولئك قوادى وليسوا أقل بسالة منك . ليبدوا رأيهم فيما تقول . أنصار مجدى أجيبوا . الملكة تأخذ رأيكم فيما يجب نحوها من الاجلال (يقلبون ظهر المجن) ياأهل آشور . اذكروا سر مولدى . لا يدرى أحد من أين أتيت وأعلم وحدى طريق الذهاب انا الشهاب الثاقب . أطيعوا والا اختفيت ! أطالب بالضمان على عهودى ؟ يالجرأة ! أنا لاأنزل على هذا التحكم . سأصطحب الامير كيتاهور ، (رفض عام) أتقابلون ظهر المجن فى وجه أمرى ؟

ذاكر : أنا لسان الشعب ، لسان الجيش ، لسان آشور . طاعتنا وزن حبنا وبرهانه . لكن فرعون مصر

نفث سموم سحره وأضاع المليكة سبيل الرشاد .

سميراميس : ساعدى يرتد خوّانا على ! ويدى تهوى وتمتد الى ! سنان رمحى يهدد صدرى ! وسيفى يشق عصا طاعته !

ذاكر : نحن جميعا عبيدك . لكننا لانريد أن يكون للاجنبى حكم على نفسك .

كيتاهور : (لسميراميس) اذا وجب الفداء ضحيت بنفسى فى سبيل مجدك .

سميراميس : (لكيتاهور) أأنا من الجبن بحيث أطيع هذى الرجال !

ذاكر : (متحديا كيتاهور) حيوا جميعا رزانة المصرى ... إنه يصبر على الاهانة ولا ينتقم .

سميراميس : يالدنيا العجب ! لاتحل الامور فيها بغير شدة .

كيتاهور : مليكتى . لن أطيق الصبر على طاعتك .
(يتقدم الى ذاكر)

سميراميس : كل من يجسر أن يمس شعرة من رأس فرعون يصلب حياً على الحديد المحمى ثم يدهن بالعسل ويترك حتى يموت تحت لسع العناكب والذباب .

ذاكر : (مخاطبا القواد) لم أكذب عليكم . أترون كيف تحبه ؟

سميراميس : أيها الشقى . أتسبر غور قلب مليكتك ؟

ذاكر : أمير مصر . انظر الى حبيبتك المليكه . عيناها ترسلان علىّ خطف البرق . . . وسيفك لايزال رهن القراب . أنت محبوب وأنت محب . ومع هذا فأنت جبان !

كيتاهور : (يسل سيفه ويتقدم) إما أن أموت وإما أن يقضى عليك أمون . لن أستمع لك بعد هذا .

ذاكر : (وقد سل سيفه) أخيرا ! سأشفى غليلى ياساحر مصر .

سميراميس : أيتها الآلهه . يامن يبتهل اليهم فى الشدائد نجوا حبيبى كيتاهور يزدد بكم إيمانى .

ذاكر : أراك تفيق من حلمك أيها الفرعون الجميل .

(يتنازلان)

كيتاهور : لأغرقك فى حلم بلا نهايه (يتنازلان)

ذاكر : أنت الذى تهوى إلى القبر !

كيتاهور : (يسقط على الدرج مطعونا) آه ! أمون !

ذاكر : (بلهجة الظافر) المجد لنينوه ! مات الساحر وبطل السحر .

كيتاهور : (مخاطبا الملكة وقد مالت عليه) سميراميس !

سميراميس . كيتاهور ! هل جرحت ؟

ذاكر : بل يموت !

سميراميس : (لذاكر) يا لهول انتقامى !

ذاكر : قضيت بالحق ؟

سميراميس : (لاوركام) أيها العراف . أستعين بحكمتك . نجّ حبيبى !

أوركام : (وقد مال على الامير) الجرح قاتل .

سميراميس . يالضيعة الغضب ! يالعجز الموجده ! أيقتل فى محضرى الوحيدالمحبوب ! لم أكد أفتح له ذراعى وهذا الموت يحرمنى حبيبى

كيتاهور : (وهو يموت بين ذراعى الملكة) معبودتى . أسمع عذب نجواك وأموت محبوبا سعيدا . فهنيئا ما أردت حييت من أجلك ومت فى سبيلك . ما أحن عينيك النجلاوين ! لن تعكسا ظل غيرى . . . . وتبكيان علىّ ! واليد التى تأمر تمسنى فى رفق ! وهذا الفم البديع ينطبع على جبينى ! وهذان الساعدان يحتضنانى . . . . يهدهدانى . . . . الى النوم الطويل . . . . سميراميس . . . . حبيبتى . (يموت)

سميراميس . أواه ! يا قتيل الحب . يا ضحيتى العزيزة . يا من نسيت الملك فيه . أيها الفاتن الساحر أباركك لما أذقت قلبى من أويقات النعيم . يارجلى الفريد . جمعت علىّ أحزان الايامى . سأفى بالدماء لا بالدموع ! أنيموا البطل على هذه الدرجات . ثم ارفعوا رأسه الشاحب حتى يرى رؤية الأحياء كيف أكرمه .

ذاكر : (للقواد) هل رأيتم كيف كانت تحبه وعرفتم أنه بحكمه عليها يقضى باذلال البلاد ؟

سميراميس . أيها القاتل . نعم أحببته ! وهذا اللفظ فى فمى يملأك من الرعب لو كنت تفهمه . أيها الكهنه . أيها القواد ، لقد كنتم شهودا على فعلته ! انزعوا السيف من يد المجرم . هذه مشيئتى .

ذاكر : أنجيت الوطن من أجلّ خطر هدده .

ليجب صوت الجنود .

سميراميس : لايطيع أمرى أحد ! كل القلوب ثائره ! إذن خنتمونى ؟ حسنا ! لقد كنت القاضى وسأصبح الجلاد . سأنفذ الحكم الذى قضيت به . ذاكر . أنت رأس الجيش . وهأنذا أنزع عنك شارتك ! (تنزع الشارة)

ذاكر . (متراجعا) يا للعار !

سميراميس : كيتاهور . هذا السيف الذى نبا فى يدك سيكون غضباً فى يدى . (الجندى) هات هذا المجن .

ذاكر . أردت الموت فى ساح القتال . وهأنذا أنيلك ماتريد .

ذاكر : (فزعا) يا للجنون !

سميراميس : قف موقف الدفاع . (تهاجمه)

ذاكر : (محتميا بدرعه) أموت من يدك ! لاأريد ذلك .

سميراميس : لقد طعنت قلبي إذ مسست صدره

ذاكر : العفو . أيتها المليكه . ارحميني !

سميراميس : مت ، ومت لعيناً أيها البغيض . (تطعنه)

ذاكر . (وقد سقط عند قدمي كيتاهور) سميراميس أموت ! أسمعيني لفظة طيبه .

سميراميس : أكرهك ! أبغضك ! أمقتك !

ذاكر : يا للعذاب !

سميراميس : وأعبده ! وفي السم الذي عرضته عليك سبيل اللحاق بمن أعبده .

ذاكر . يا للهول ! (يموت)

نارمسين . يا للمساء المشؤوم !

أوركام : تم المجد السلام !

سميراميس : (عند جثة فرعون) كيتاهور ! إن كانت الارواح تلتقى من بعد توديع الحياه ، فاطمئن أيها الحبيب هذه القبلة التى أمنحها شفتيك الشاحبتين سترددها إلى عما قريب . حبيبى ؟ الوداع ! تجذبنى قوة لاأستطيع دفعها . الماضى يسيطر على . يابنت دركيتو . اصبرى على الخلود لكن ، أأقل من لفظ سرىّ أبعث فيه كرهى وأصب اللعنات على السافكين ! يامن كنتم ساعدىّ . يامن كنتم يدى ـ ياسواعد القتلة ياأكف المجرمين . أيتها السهام المارقة ، والرماح القاطعه ، والسيوف اللامعه ـ أيها السلاح الاعمى للطموح الداجى الظلام . يارجال آشور ، ياأبطال نينوه ـ ماأشوقنى إلى تأليب العالم عليكم ماأظمأنى إلى الدفع بكم غنيمة للعدو ؟ يابواسل الدجله ؟ ياقاتلىّ ؟ ياقاتلىّ ! أيتها الجنود الخائنه ، أيها الجيش الذى عصانى ، ياجند آشور من كبير وصغير . اسمعوا . أنا سميراميس لم أعد أحب منكم أحدا !

الجمع : سميراميس !

سميراميس : إذا سكنت الآلهة أجساد الخلق تجسدت في نسله المختار ثم ظلت فيه مادام خليقاً بها معليها . لقد عصيتم صولتي المشروعه . وأصغيتم الى الثائر . وما رعيتم حرمة للرهائن . املأوا أعينكم من حضرتي . يارجال آشور . ألقوا على النظرة الاخيره !

القواد : سميراميس ؟

سميراميس : هاتوا راية الجيش الى وداع سميراميس . ياشيوخ نينوس . يامن شهدتم مجدى التالد !

الجمع : سميراميس !

سميراميس : ياجحافل بكتريا . لن أقودك بعد اليوم إلى حومة القتال ! ياأهل بابل . أكملوا مابدأت في بنائه ! ياقلاع اكبتانا وياجنات بجستان . لن أراك بعد اليوم ! ياجنود ميديا . الوداع ! ياأهل ارمينيا . لن تعكس خيالى مياه الفرات . لن تطأ قدمى أعتاب المدينة التى سميتها باسمى ! ياجيوش سيليسيا . احملوا تحيتى الى تارس البلد الجميل ! ياأهل سوريا . إذا مررتم على جبال لبنان

فاذكرونى ! ياجيش إيتيوبيا ، وانت ياجيش مصر . الوداع ! والوداع الاخير ياحرس الحمامه ! ما كان اجدرك بالطاعة حين عصانى الجميع ! أى اللعنات تصب على رأسكم غضب السماء وثورة العناصر ؟ والآن ، أشعروا نفوسكم الندم . انظروا فى قلوبكم ماجزيتم به وفائى من نكركم الجميل . لقد هبطت عليكم أريكم سواء السبيل . والآن وقد تم العمل أغيب عنكم أجمعين . سميراميس التى لاتعرف الموت ستختفى عنكم وراء الحجاب ! (تصعد الدرجة الثانية) كيتاهور ! ياحلمى الجميل . انى أسعى اليك . أما أنتم أيها الوحوش ، فاستمروا أن تكونوا القاهرين . وأما أنا ، فآخذة مكانى فى السماء ؟ (تبتعد ببطء بينما يظهر الحاضرون علائم اليأس)

نارمسين . أسجدوا ! أسجدوا لطلعة المليكه .

أوركام : واعبدوا جميعا سميراميس ذات الجلال !

(سميراميس تصل الى نهاية الدرج فيسود الظلام ويخطف البرق ويدوى الرعد وتختفى فى سحابه) (تمت الرواية)